جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التربية الفنية

المرحلة: الماجستير

المادة: فنون معاصرة

عنوان المحاضرة: ما بعد الحداثة (المفهوم، والنشأة، والمرتكزات)

مدرس المادة: أ.م.د. نبراس وفاء بدري

2024-2025

ما بعد الحداثة (المفهوم، والنشأة، والمرتكزات):

من المصطلحات الأكثر التباسا وإثارة في فترة ما بعد الحداثة هو مصطلح (ما بعد الحداثة) نفسه؛ حيث اختلف حوله نقاد ودارسو (ما بعد الحداثة)؛ نظرا لتعدد مفاهيمه ومدلولاته من ناقد إلى آخر. بل نجد أن المعاني التي قدمت لمفهوم (ما بعد الحداثة) متناقضة فيما بينها ومختلفة ومتداخلة حتى أثير حول استخدام مفهوم مصطلح (ما بعد الحداثة) نقاش مستفيض؛ إذ يعد من أهم المصطلحات التي شاعت وسادت منذ الخمسينيات الميلادية، ولم يهتد أحد بعد إلى تحديد مصدره فهناك من يعيد المفردة إلى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي عام 1954م، وهناك من يربطها بالشاعر والناقد الأمريكي **تشارلس أولسون** في الخمسينيات الميلادية، وهناك من يحيلها إلى ناقد الثقافة ليزلي فيدلر، ويحدد زمانها بعام 1965م على أن البحث عن أصول المفردة أفضى إلى اكتشاف استخدامها قبل هذه التواريخ بكثير، كما في استخدام جون والكنز تشايمان لمصطلح "**الرسم ما بعد الحداثي**" في عقد 1870م، وظهور مصطلح ما بعد الحداثة عند رودولف بانفتز في عام 1917م. (3،ص138)

وقد تبين واضحا أن أفكار ما بعد الحداثة مختلفة نسبيا عن مفاهيم الحداثة السابقة. وهناك من يرى أن أفكار ما بعد الحداثة مختلفة جذريا عن أفكار الحداثة. ويعتقد بعضهم أنه من الممكن اعتبار الكتاب والفنانين في مرحلة ما قبل الحداثة على أنهم ما بعد الحداثيون بالرغم من أن المفهوم لم يكن مصاغا أنذاك. وهذا أقرب إلى الجدل الذي يرى نظريات فرويد عن اللاوعي أنها موجودة مسبقا في الفكر الرومانسي الألماني. وقد ناقش الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس أن مشروع الحداثة لم ينته أبدا بعد، حيث يواصل هذا المشروع سعيه لتحقيق أهدافه وبهذا، يقصد هابرماس قيم تنوير العقل والعدالة الاجتماعية. ويعد مصطلح "ما بعد الحداثة " والكلمات المشابهة له أيضا في نظر الكثيرين أنه يشير، بصفة عامة، إلى دور وسائل الإعلام في المجتمعات الرأسمالية في أواخر القرن العشرين. وأيا كان استخدامه المفضل، فمن الواضح أن نظرية تفسير التطورات الاجتماعية والثقافية عن طريق السرديات الكبرى الم تعد ممكنة أو مقبولة، وأنه لم يعد ممكنا للأفكار أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الواقع التاريخي فكل شيء هو النص والصورة. (3،ص138)

وبالنسبة للكثيرين، يحاول العالم الذي يتم تصويره في فيلم (الماتريكس)، حيث نجد الحياة البشرية تقلد الآلات التي تسيطر عليها، إقناع المشاهد بعالم ما بعد الحداثة، لإقناعه بكابوس من عالم الخيال العلمي، فهذا العالم هو بمنزلة استعارة أو مجاز عن حالة الإنسان الحالي. وهناك من الباحثين والدارسين من يربط (ما بعد الحداثة) بفلسفة التفكيك والتقويض، وتحطيم المقولات

المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية من أفلاطون إلى يومنا هذا. وفي هذا الصدد، يقول دافيد كارتر في كتابه (النظرية الأدبية) وتعبر هذه المواقف من "ما بعد الحداثة" عن موقف متشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني (من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات الثقافية، من بين الميادين الأخرى). وبالنسبة للكثيرين تعد "ما بعد الحداثة" عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة. فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة. (2،ص130)

وقد اعتمدت فلسفة (ما بعد الحداثة) على التشكيك، والتقويض، والعدمية. كما اعتمدت على التناص واللا نظام واللا انسجام، وإعادة النظر في الكثير من المسلمات والمقولات المركزية التي تعارف عليها الفكر الغربي قديما وحديثا. ومن ثم، زعزعت فلسفة ما بعد الحداثة حسب دافيد كارتر: جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة باللغة والهوية، إذ نسمع كثيرا من الطلاب الأجانب الذين يدرسون الأدب الإنكليزي ينعتون أي شيء لا يفهمونه أو يعبرون عنه بما بعد حداثي. وكثيرا ما تكشف النصوص الأدبية في "ما بعد الحداثة" عن غياب الانغلاق، وتركز تحليلاتها على ذلك. وتهتم كل من النصوص والانتقادات بعدم وضوح الهوية، وما هو معروف باسم (التناص) وهو إعادة صياغة الأعمال المبكرة أو الترابط بين النصوص الأدبية.(2،ص131)

ويمكن الحديث في إطار (ما بعد الحداثة) عن أربعة منظورات تجاهها وهي: **(المنظور الفلسفي)** الذي يرى أن ما بعد الحداثة دليل على الفراغ بغياب الحداثة نفسها، **و(المنظور التاريخي)** الذي يرى أن ما بعد الحداثة حركة ابتعاد عن الحداثة أو رفضا لبعض جوانبها، **و(المنظور الإيديولوجي السياسي)** الذي يرى أن ما بعد الحداثة تعرية للأوهام الإيديولوجية الغربية، **و(المنظور الإستراتيجي النصوصي)** الذي يرى أن مقاربة نصوص (ما بعد الحداثة) لا تتقيد بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة، بل قراءات منفتحة ومتعددة.(2،ص131)

ان السياق الذي ظهرت فيه (ما بعد الحداثة) لقد ارتبطت (ما بعد الحداثة)، في بعدها التاريخي والمرجعي والسياقي بتطور الرأسمالية الغربية ما بعد الحداثية اجتماعيا، واقتصاديا وسياسيا وثقافيا. كما ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطور وسائل الإعلام. كما جاءت ما بعد الحداثة رد فعل على البنيوية اللسانية، والمقولات المركزية الغربية التي تحيل على الهيمنة والسيطرة والاسغلال والاستلاب. كما استهدفت (ما بعد الحداثة) تقويض الفلسفة الغربية، وتعرية المؤسسات الرأسمالية التي تتحكم في العالم، وتحتكر وسائل الإنتاج، وتمتلك المعرفة العلمية.(3،ص143)

كما عملت (ما بعد الحداثة) على انتقاد اللوغوس والمنطق عبر آليات التشكيك، والتشتيت والتشريح، والتفكيك. وقد ظهرت (ما بعد الحداثة) في ظروف سياسية معقدة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، في سياق الحرب الباردة، وانتشار التسلح النووي، وإعلان ميلاد حقوق الإنسان، وظهور مسرح اللامعقول صمويل بيكيت.

تستند ما بعد الحداثة في ساحة الثقافة الغربية، إلى مجموعة من المكونات والمرتكزات الفكرية والذهنية والفنية، والجمالية والأدبية والنقدية ويمكن حصرها في العناصر والمبادئ التالية:

1- التقويض: تهدف نظرية ما بعد الحداثة) إلى تقويض الفكر الغربي وتحطيم أقاليمه المركزية، بالتشتيت، والتأجيل، والتفكيك، بمعنى أن (ما بعد الحداثة) قد تسلحت بمعاول الهدم والتشريح لتعرية الخطابات الرسمية، وفضح الإيديولوجيات السائدة المتآكلة باستعمال لغة الاختلاف والتضاد، والتناقض.

2- التشكيك: أهم ما تتميز به ما بعد) (الحداثة هو التشكيك في المعارف اليقينية، وانتقاد المؤسسات الثقافية المالكة للخطاب والقوة والمعرفة والسلطة على حد سواء. ومن ثم أصبح التشكيك آلية للطعن في الفلسفة الغربية المبنية على العقل والحضور والدال الصوتي. ومن هنا فتفكيكية جاك ديريدا هي في الحقيقة، تشكيك في الميتافيزيقا الغربية من أفلاطون إلى فترة الفلسفة الحديثة.

3- الفلسفة العدمية: من يتأمل جوهر فلسفات ما بعد الحداثة، فسيجدها فلسفات عدمية وفوضوية، تقوم على تغييب المعنى، وتقويض العقل والمنطق، والنظام، والانسجام. بمعنى أن فلسفات (ما بعد الحداثة) هي فلسفات لا تقدم بدائل عملية واقعية وبراجماتية، بل هي فلسفات عبثية لا معقولة، تنشر اليأس والشكوى والفوضى في المجتمع.

4- التفكك واللا انسجام: إذا كانت فلسفة الحداثة أو تيارات البنيوية والسيميائية تبحث عن النظام والانسجام، وتهدف إلى توحيد النصوص والخطابات، وتجميعها في بنيات كونية، وتجريدها في قواعد صورية عامة من أجل خلق الانسجام والتشاكل، وتحقيق الكلية والعضوية الكونية فإن فلسفات (ما بعد الحداثة) في ضد النظام والانسجام، بل هي تعارض الفكرة الكلية. وفي المقابل، تدعو إلى التعددية والاختلاف واللا نظام وتفكيك ما هو منظم ومتعارف عليه.

5- هيمنة الصورة: رافقت (ما بعد الحداثة تطور وسائل الإعلام فاصبحت الصورة البصرية علامة سيميائية تشهد على تطور ما بعد الحداثة، ولم تعد اللغة. المنظم الوحيد للحياة الإنسانية،

بل أصبحت الصورة هي المحرك الأساس للتحصيل المعرفي، وتعرف الحقيقة ولا غرو أن نجد جيل دولوز يهتم بالصورة السينمائية؛ إذ يقسمها إلى الصورة – الإدراك، والصورة – الانفعال، والصورة – الفعل؛ ويعتبر العالم خداعا كخداع السينما للزمان والمكان عن طريق خداع الحواس، ويبدو ذلك واضحا في كتابيه (الصورة – الحركة) و(الصورة – الزمان).

6- الغرابة والغموض: تتميز (ما بعد الحداثة) بالغرابة، والشذوذ، وغموض الآراء والأفكار والمواقف، فمازالت تفكيكية جاك ديريدا – مثلا – مبهمة وغامضة من الصعب فهمها واستيعابها، حتى إن مصطلح التفكيك نفسه آثار كثيرا من النقاش والتأويلات المختلفة في حقول ثقافية متنوعة ولاسيما في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية. كما تبدو فلسفة جيل دولوز معقدة وغامضة من الصعب بمكان تمثلها بكل سهولة.

7- التناص: يعني التناص استلهام نصوص الأخرين بطريقة واعية أو غير واعية بمعنى أن أي نص يتفاعل ويتداخل نصيا مع النصوص الأخرى تقليدا، وامتصاصا، وحوارا ويدل التناص في معانيه القريبة والبعيدة على التعددية، والتنوع، والمعرفة الخلفية، وترسبات الذاكرة. وقد ارتبط التناص نظريا مع النقد الحواري لدى ميخائيل باختين.

8- تفكيك المقولات المركزية الكبرى: استهدفت ما بعد الحداثة تقويض المقولات المركزية الغربية الكبرى، كالدال والمدول، واللسان والكلام والحضور والغياب، إلى جانب انتقاد مفاهيم أخرى كالجوهر والحقيقة والعقل، والوجود والهوية... عن طريق التشريح، والتفكيك والتقويض، والتشتيت، والتأجيل...

9- الانفتاح: إذا كانت البنيوية الحداثية قد آمنت بفلسفة البنية والانغلاق الداخلي وعدم الانفتاح على المعنى والسياق الخارجي والمرجعي، فإن ما بعد الحداثة) قد اتخذت لنفسها الانفتاح وسيلة للتفاعل والتفاهم والتعايش والتسامح. ويعد التناص آلية لهذا الانفتاح، كما أن الاهتمام بالسياق الخارجي هو دليل آخر على هذا الانفتاح الإيجابي التعددي.

10- قوة التحرر: تعمل فلسفات ما بعد الحداثة على تحرير الإنسان من قهر المؤسسات المالكة للخطاب والمعرفة والسلطة، وتحريره أيضا من أوهام الإيديولوجيا والميثولوجيا البيضاء، وتحريره فلسفة المركز، وتنويره بفلسفات الهامش والعرضي واليومي والشعبي.

11- إعادة الاعتبار للسياق والنص الموازي: إذا كانت البنيوية والسيميائيات قد أقصت السياق الخارجي والمرجعي من حسابها، وقتلت الإنسان والتاريخ والمجتمع، فإن فلسفات (ما بعد الحداثة، قد أعادت الاعتبار للمؤلف، والقارىء، والإحالة. واهتمت أيضا بالمرجع والاجتماعي والسياسي

والاقتصادي على حد سواء، كما هو حال نظرية التأويلية، وجمالية التلقي والمادية الثقافية والنقد الثقافي، ونظرية ما بعد الاستعمار، والتاريخانية الجديدة .... التاريخي

12- تحطيم الحدود بين الأجناس الأدبية: إذا كانت الشعرية البنيوية تحترم الأجناس الأدبية؛ حيث تضع كل جنس على حدة تصنيفا، وتنويعا، وتنميطا؛ فتحدد لها قواعدها وأدبيتها التجنيسية، فإن ما بعد الحداثة) لا تعترف بالحدود الأجناسية، فقد حطمت كل قواعد التجنيس الأدبي، وسخرت من نظرية الأدب ومن ثم أصبحنا - اليوم- تتحدث عن أعمال أو نصوص أو آثار غير محددة وغير معينة جنسيا.

13- الدلالات العائمة: تتميز نصوص وخطابات ما بعد الحداثة عن سابقتها الحداثية بخاصية الغموض والإبهام، والالتباس. بمعنى أن دلالات تلك النصوص أو الخطابات غير محددة بدقة، وليس هناك مدلول واحد، بل هناك دلالات مختلفة ومتناقضة ومتضادة ومشتتة تأجيلا. وتقويضا، وتفكيكا؛ كما يتضح ذلك جليا في المنظور التفكيكي عند جاك ديريدا وبتعبير آخر، يغيب المعنى ويتشتت عبثا في كتابات (ما بعد الحداثة).

14- ما فوق الحقيقة: تنكر فلسفات ما بعد الحداثة و يقينية ثابتة، فجان بودريار - مثلا - ينكر الحقيقة، ويعتبرها وهما وخداعا كما ذهب إلى ذلك نيتشة الذي ربط غياب الحقيقة بأخطاء اللغة وأوهامها بينما يربط بودريار الحقيقة بالإعلام الذي يمارس لغة الخداع، والتضليل، والتوهيم، والتفخيم.

15- التخلص من المعايير والقواعد: ما يعرف عن نظريات ما بعد الحداثة، في مجال الأدب والنقد، تخلصها من النظريات والقواعد المنهجية؛ إذ يسخر ميشيل فوكو من دارس ينطلق من منهجيات محددة يكررها دائما، ويحفظها عن ظهر قلب. لذا، فهو يرى النص أو الخطاب عالما متعدد الدلالات يحتمل قراءات مختلفة ومتنوعة. كما يرفض ديريدا أن تكون له منهجية نقدية أدبية في شكل وصفة سحرية ناجحة لتحليل النص الأدبي؛ حيث لا يوجد المعنى أصلا مادام مقوضا، ومفككا، ومشتتا. فما هناك سوى المختلف من المعاني المتناقضة مع نفسها كما يقول جاك ديريدا.(1،ص78-81)

المصادر:

1- جميل حمداوي: من الحداثة الى ما بعد الحداثة، ط1، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، تطوان، المغرب، 2020م، ص 78-81.

2- ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، ترجمة: د. باسل المسالمة، ط1، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2010م، ص 130.

3 - سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 138.